عزيزي بابا

(روحي وأنفاسي)

الكاتبة: علا الجندي.

تدقيق لغوي: حنان حسن مظلوم.

الإخراج الفني: ضياء فريد.

تصميم غلاف: أمنية محمد.

رقم الإيداع: ٢٠٢٠/١٧٧٧١

الترقيم الدولي: ٩٧٨-٩٧٧-٦٦٨٩-٥٤-١

9 شارع مسجد المغفرة المتفرع من شارع العشرين
بجوارمدارس حسام الدين الخاصة فيصل الجيزة.

موبايل: ٠١١٢٦٠٢٦٦٩١ ٠١٠٦١٨١٣٣٤٥

٠١٠٠٩٨٢٣٩٨٤

عزيزي بابا

(روحي وأنفاسي)

خواطر نثرية

علا الجندي

إهداء

أؤمن أنك تلمس أنين كلماتي، صوت صمتي، ونزف قلبي...
فهلّا قرأت حبيبي وأجبت الروح..؟!
إهداء إلى ساكن الروح، إلى وتين القلب..
إليك بابا..
روحي وأنفاسي..
فإني إليك لاهفة..
ومنك أكون..

ابنتك
علا الجندي

متسع روحك

أو كيف لا أدخل متسع روحك وأطمئن؟
كأن تسقط الروح غارقة في بئر دامس الظلمة..
لا أحد يمكنه الهبوط في أعماق الظلام..
ظلام أسود يشبِه الموت تمامًا..
لا أحد يشعر باللحظات التي تتوالى بعد مرارة العجز..
آاااه على روح مبتورة.
أناديك بجزع صارخ، كل حرف يخرج بين أضلعي..
يتصلب الجسد، ينتفض، لتندفع ضحكات هستيرية..
أو كيف لا أسمع نبض قلبك لطالما هو اتصالي بالحياة؟
لطالما في جذور روحي وأوصالي كلها القائمة..
لا عجب أن أسقط بكل مرارة الفقد..
آسفة، قد كانت تلك الكلمتان كصاعقة التهمت قلبي كليًا..
واختطفت روحي، ليستيقظ الجسد أشلاء صريعة الموت.
كل هذا العالم صار محض هراء وهذيان..
لحظات نفقد السيطرة على حواسنا، تبقى المشاعر تموت..

تنزف الحب كنزف الجسد دمًا..

تمر أحداث العمر طاعنة القلب ليئن، ويبتسم، ويجن، وينادي بمرارة الفقد، تروح العينان عوالم الروح دون الموت، فتصفعنا فظاعة الحقيقة.

إنهم يجتمعون..

إنه عائد أناديه، فلا يجيب، أقرأ رسالة بوحي الروح..

أنه بكل مرارة لا وقت لنزف الألم؛ مضطرون لكتمانه..

والالتفات سريعًا للحظات الأخيرة..

ربما قبلة وعناق، رسالة وآيات في كتاب الله أهم من الوهن الساكن في كل أجزاء الروح.

روحي وأنفاسي

وتبقى نوري وروحي وأنفاسي، ألمي وانتصاري..
قِبلتي الأولى، وأصل طريقي..
تبقى عوالمي تضج باسمك..
تهفو نحو رائحتك.
حبيبي..
تنعم حروفي بدفئك...
أغمض عيني، وأروح وجهتك..
تتخلل عقلي وروحي.
حبيبي..
أشعر بحضورك يشدني..
رائحتك تهيم في أجزاء قلبي..
أحبك ألف مرة.

صباح أخير..

إني منجذب لعينيك، تائه في دفئهما..
أود لقاءك.. الاتصال بروحك.
هذا الشارع أراك فيه، يُخيل إليَّ أنك تسير مُقبِلًا تجاهي، حبيبي.
أو كم قاسية هي الحياة، مادية قوانينها، عقلانية، لا تخضع لوجعية المرء..
رقة القلب، ورحمة الله احتضنتها بين يديك..
دمع عينك، عرق جبينك أعز على الروح من الدنيا بسعتها..
تشق قلبي بمرارة الاحتياج ورغبة عاجزة..
آااه رغبة عاجزة.
يعنيني أن تصلك كلماتي..
وأن يبلّغك الله سلامي.
مفزع أن تذهب للقاء باشتياق يملأ كل روحك..
أن تتلهف لعناقٍ في الليل..
أن نلتقي على موعد يأكل قلبي ذكراه..
فيأتي صباح أخير..
ويكون اللقاء الأخير.

كل طريق أراك فيه أعود أبحث عنك..

وأراني فيك، وتقتلني الرغبة فيك..

في ليلة اقتربت من الجنون، رأيت كل شيء في عقلي مربك.

تلك الأيام التي مرت لم تعد موجودة في ذاكرتي في هذا التوقيت، وبدأت أبحث عنك.. خشيت التفكير أكثر.

مرهق أن تخشى التفكير، وأن تضطر لاصطحاب نفسك لوهم أو لحلم، بعيدًا عن الصراع والنزاع والاشتياق.

وأعود أكتب، إني مشتاق للمسة يدك، ودقات قلبك، وصوتك، أتناديني أن أغرق في دنياك؟

مشتاق بكل الألم الذي لا يوصَف أبدًا.

لتطمئن نفسك..

هذه الأفكار ضاغطة، تجزّئ النفس بحدة، وتصنع الفوضى، وتأكل مساحات السلام والحب.

هذه الأفكار تولَد كل لحظة متفاقمة دون رحمة أو توقف.

حالة النوستالجيا تتملك من قلبي كله.

هذه الأفكار تبعثر رغبتي واستقامتي، وتسرق صوتي؛ مولدة الفقدان والخذلان، وأصلها مرارة الكتمان لحظة الاصطدام.

قصاصاتي يسودها اللغة الكئيبة، ورائحة الحزن.

لم أعد أقدر على الغوص في خيال الشعر وحالة الحب؛ تحايلًا على ألمي، وإنكار رغبة قلبي وعجزه.

أعرف كم يتمحور كل حديثي عنه.

أعرف أن كل أفكاري تربط كل شيء يحدث، كل كلمة، كل حدث في الحاضر والمستقبل لأبي..

أبًا في الحب، والفكر، ورقة المشاعر..

فياضًا بالعطاء..

لم ترَ عيني رجل بحنان ورقة عينه..

ماضيًا وحاضرًا كان شاغلًا بعقلي..

أعجب ملهمة برحلة عمره متسائلة إياه عن أحداث وقعت على مسمعي، أخذت قلبي،

وشرعت في نفسي رغبة وطريق..

لا يحق لي السؤال، لماذا حال بيننا الموت؟

لكني في أعماقي متآكلة متلهفة.

وآه لو كنت أعلم؛ لكنت أسرعت، وأطلت في العناق..

وآه لو كنت أقوى؛ لدفعت نار قلبي في وجه قيود القسوة، وقلوب فارغة من الرحمة، واحتضنتك، ولو جسدًا دون الروح.

ترى هل طمأنك صوتي ليلتها؟

أكنت راضيًا؟ كان يخبرني قلبي رغم جزعه وميتته، أنك جواري تسمعني.

أو كنت أهذي بدافع سواد الألم ونار فراقك؟

شعرة بيننا وبين الجنون.. ما يردعنا سوى الإيمان.

وتين الروح..

نبرات صوته، نظرات عيونه، خوفه وقلقه، تفاصيل وجهه.

آاااه يا قلبي..

لا يُشفي الوقت عجز قلبي عن احتضانه، ورغبتي العارمة في دفن رأسي بين أضلعه، الغوص في مساحات قلبه الرقيقة.

تأتي الأفكار شديدة القسوة والوجع على نفسي.

أيكون التراب أحن عليه مني؟

فأستغفر سريعًا، وأذكُر أنني نشأت بين يديه تحمل كتاب ربها، وصوته يحمد الله في أعماق الليل، في باطن أحلامه يذكره، إن قلبه طيب، تمسَّك بالله في اللحظات التي تملَّك منا الهون والخوف.

إنني وإن كنت لينة، هينة، فهو أصل نفسي..

أدرك الآن كم كنت أحيَى بأنفاسه..

عزتي ودلالي، اسمي وكياني، صوتي وكبريائي، كان أصلهما سرًا وعلانية.

أدرك أن التراب الذي يخطوه أعز من الدنيا وما فيها..

قطعة من قلبي تجزع ألمًا، ويكون الصبر وجعًا مكبوتًا فوق الألم.

كل شئ غير آمن دونه..

ليتني أفتح قلبي، وأوقفه عن الشعور..

ليتني أعرف طريقي إليك دون الموت..

لا يمكن أن يكون هناك رجل بجمال نفسه، وغمرة مشاعره.

رائحته هي روحي.. رائحته دفء وعمر.

ربي خفف عليه غربته وطمئنه..

ربي طمئن نفسه.. ربي صلني به حلمًا.

على حافة الهوت..

ليته هنا إلى جواري، وما ذقت مرارة الفقد، كتمان الألم واختلاق الصبر بين أيدي الضعف في لحظات النهاية.

لا أنت تطال أنفاسه، ولا البوح بالألم يرضي نفسه.

تسلِّم بالقدر، وإن كان قلبك وعقلك يتوقفان عن استيعاب قضائه..

ساعات تمر كلحظات من الصبر المر، وأمست الابتسامة فقط من أجل رضائه ،والاصطدام بسواد الحزن..

ليلة في جواره مُرة.. وكأنه اختُطف من قلبي..

توالت الأحداث، وأوقعوا على قلبي جمرة نار..

يبدأ الهذيان، ولا أحد في العالم يشعر بالعجز الذي يأكل قلبي..

بيني وبينه قضاء الموت.. بيني وبينه بحر من الألم..

أو كيف أصل لعالمه؟

أو كيف أخرج من عقلي؟ وأوقف روحي عن التنفس بك، وأنا أنت؟

أو كيف لا أدخُل في روحك، وأسمع نبضاتك؟

نبرات الحنين

باهتمام مبالغ، وإيمان قوى تارة، بعصبية زائدة، وتارة بهدوء، يمسك كتاب الله بيمينه، ليعلي صوته بين أرجاء البيت..

إنه يوم مبارك، فيه ساعة استجابة..

إذ قدِّر أن تصعد روحه يوم الجمعة..

حين تتكالب عليه الهموم، ويُثار غضبه، لا أجده إلا يتوضأ للصلاة.

ورَّثني لينه، وفرط مشاعره، نظرته للحياة، شغفه، سر وجهتي، وباطن ألمي الماضي والحاضر.

حين بدأت أتعرَّف، وأكتشف أمري كاملًا، كان باطن أفكاري، وأصل الأحداث..

ليّنًا هيّنًا بطريقة تجذب الروح..

في الطرق أمسك بيده، أستمتع بنظرات التقرُّب في عيون الغريب والعزيز منه..

لاسمك صدى أراه في حديثهم، زمنًا ماضيًا يتسامرون في أحداث عمرك، وأنا أربط الأحداث بك وأسألك، فتبتسم ولا تجيب.

لو تعرف أنني بعد سفرك الطويل هذا كنت أنتظرك طويلًا جدًا أتلهَّف لعودتك بالمطارات، يمتلئ البيت برائحتك وأنفاسك، يتحوّل كل شيء تمامًا معك.

تدللت جدًا بكل ما تعنيه الكلمة.. معه كنت طفلة يناديني "سكرتي حبيبتي"، أسميته أسماءً رقيقة، تشبِه لينه، وطيب نفسه.

في كل عين حدَّثتني، رأيت قلبه تاركًا أثره..

إني عجزت على البقاء بهذا اللين دومًا.. وحين أوحى لي الناس، ومن ثمَّ عقلي، أنها سذاجة، لكنها والله عمرًا من الحب واللين..

أو كيف استطاع البقاء بهذا العطاء والحب؟

رحيمًا لينًا جدًا، يا الله..

يزورني طيفًا، لكن روحي راغبة فيه طويلًا..

تدور الأحداث في عقلي، في عمرٍ وأنا صغيرة، أدهشتني أحاديثهم عن موت جدي،

قالوا.. أبيض وجهه..

حدثني عقلي بلحظات شك، حاولت التصديق، لكن ما لم تره أعيننا يبقى دومًا فيه ريب،

إلى أن دخلت، فرأيت ما طمأن قلبي، رغم شديد وجعي..

سبحانك يا الله..

وجهه أبيض، ما ملكتُ إلا احتضانه لآخر مرة، وكتمان حزني وألمي رجاء رضائه.

أنين الروح..

اشتقت إليك ولا أطول أطراف يدك، رائحتك مع عناقك الطويل..

كم كنت أتسلل خفية لإفزاعك، واحتضانك في الليل!

كم تدللت جدًا كطفلة في السابعة، وناديتك يا حبيبي.. بأسماء تعنينا سويًا.

صوتك يجيء على أذني، أود لو أمسك بيدك، وتقترب مني كعادتك؛ لتخبرني حديثًا عاديًا،

وتضحك، يا لين القلب، وطيب النفس..

حديثك، مع نظرتك المختلطة بضحكة، معجونة بلين وحب وفيض من الحنان، أروع ابتسامة على الأرض أحبَّها قلبي، ورأتها عيني.

اشتقت إلى لمسك، الغوص بين أضلعك، أسمع نبض قلبك، أستمع إلى أنفاسك، أتدلل كطفلة بين يديك..

اشتقت إلى آخر لمسة أمان أعرفها، كنت أظن أن كل الأشياء المؤذية والبشعة قد حدثت، حتى يوم اشتعلت النار، وأكلت قلبي بعذاب صارخ..

تلك أنفاسك، لأول مرة أشعر بالعجز والضعف، لأول مرة أتعرَّى من كبريائي، وبعض القوة المزيفة..

ليتني صدَّقت تلك الأفكار التي اجتاحتني، وما قلت أنها فعل شيطان، أو مجرد وساوس تؤذيني..

ليتني أدركت حينها نظرات الأطباء..

ما تركت أي احتمال لخسارتك أو فقدانك..

لم أكن أعرف أبدًا ما هو الموت؟

أو كيف أناديك فلا تجيب؟ لا يسري الدم! لا تخرج أنفاسك!

بيني وبينك حائل كبير غير مرئي.

أو كيف لا أسمع صوتك، وتتحرك عينيك يمينًا ويسارًا؟

أو كيف لا تمد يدك نحوي، وتخبرني أنني سكرتك، وطفلتك، وحبيبتك؟

تلك الأصابع لا تتحرك، كنت أراقبها أمس تتلاحق عدًا، تسبِّح ربها.

لم أرَ أطهر منك رجلًا، ولا أكثر منك لينًا..

حين خرجت للعالم بكل هذا الخير واللين؛ فإنهم أذوني بكل جرأة ودناءة..

الآن أعرف لماذا أخبرتني أنك تخشى عليَّ تلك المرّة!

كم صار كل شئ مؤلمًا دونك!

يُهيأ إليّ طلتك من بعيد، تناديني، أسمع صوتك، ألمس يدك الجميلة.

أحبك حتى الموت، وإلى أن أفنى، وأحيى بعد الموت.

كيف هذا؟

ربما لو تعمقت أكثر؛ لأصبت بالجنون حقًا..

أعجز عن الإدراك.

في ساعات الرحيل..

يا حبيبي، إن قلبي مهترئ، ويأكلني الخوف، أبتلع الدمع في قلبي، وأشعر أن أعماقي متآكلة.

يا حبيبي، إني أريدك.. أريدك بكل ما تعنيه الحقيقة، وكل طرق الوصل.

إني أبتسم، وأقف منتصبة القامة، بأنفاس عزة، ودلال طفلة، لأنك داخلي، وأنت يا جميل تعيش في روحي، تسند قلبي.

في جدالنا الأخير.. أعترف بأن هواك أغلى عندي من كنوز الأرض.

شيفرة عالقة

ورثت من أبي هذه الحدة والعصبية الزائدة، التي إنْ خرجت أطاحت الحدود..

وأوصدت كل طرق الوصول، كل طرق الالتقاء..

ومن رقة عينيه أورثني الدفء وفيض الحب..

ذلك الذي يجعل الشخص منا يتساءل، كيف يوجد قلب بهذه الجاذبية من اللين وفرط المشاعر!

ونلتقي حبيبي..

وتبقى من الروح فتات عقل، وصقيع حالك، نشيجًا يحتل الصدر، آهات فقد وجزع تتعالى، ساحبة الروح بأنين، مفارقة الجسد باحثه عنك..

ليتنا نلتقي، وينفض العالم..

تراني ولا أراك تبصرني، وحين أبصر أنك تلقاني في الحديث، يجزع قلبي، أود التخلص من ثقل المادية وحِمل الجسد..

اشتقت لرائحتك تهفو فَيَا لهف نفسي..

أأتيت، واشتقت مثلي؟

أنشق في الليل عني، وأدور في حديث لك..

قاسية هي الحياة، لم تكن بالنور الذي رأيته.. لم تكن باللمعة التي جذبتني..

تجرعت الألم بعد آخر قُبلة، فيضانات ألم تقيِّدني، وتفزع روحي، وكأني بدأت أشعر بأنها المرة الأخيرة..

كأنني أحلم، قوتي وثقتي في عودتك تسقط، وتغيب عن روحي، وكأن الروح مُسكرة مُغيبة..

وليلة طويلة يسري صوت بآيات الله من قلب أكَله الفقد، يوقن أنك تطمئن بصوته، إنها في جوارك حقًا، لا أدرك لحظات القوة كيف جاءت من عين الضعف والسقوط!

ونلتقي، ونلقتي في عالمك الآخر..

وتصلك رسائلي.

حيث هو أكون..

جزء من قلبي مبتور.. ينزف وهنًا وألمًا..
مقاومة وهنة دون جدوى، لطالما تأكلني الحاجة لك..
لطالما يدوي الصمت بأنين..
في أعماق روحي يبدو الأمر مُربكًا..
تبدو ظلمة الليل عاتية..
أنجرف لبداية العمر معك..
ولا أملك لأمري رشدًا..
فوضى عارمة تهز أرضي..
وإذا بي أعود حيث خطواتي الأولى..
كأني طفل يتخبط بمشاعر معانقة مرتدة..
مرهف الحس تبكيه نظرة..
تعود الروح حيث قبضة يدي الأولى..
ولهفتي الأولى وشغفي الممتلئ..
بنقاء وارتباك وتلعثم.

دهوة ألم

مساء طيب كقلبك يا أبي..
أنا أود لقاءك..
بعد الفزع والسقوط شردت بفاجعة قلبي..
أهذي، لا تسعني الدنيا في مرارة احتياجك..
بين لحظة وأخرى انقلب العالم في دواخل نفسي..
هرعت بجنون أشتمُّ فرشتك..
تدور كلماتك في رأسي لتدفعني لنوبة ضحك هستيرية..
يثقلني أحدهم بالكلمات فأنفجر بصرخة مكتومة..
أتحوَّل تمامًا لأخرى ذات قلب لتوِّه تلقى الضربة..
يستقيم الجسد فينحني، ترددات كلماتك..
عمرٌ يهرول كاملًا في آفاق عقلي..
يا لها من لحظة توقفت فيها أنفاسي، سحبت الروح من الجسد..
لا أحد في العالم شعر بجزع وعجز الروح..
بات يأكل وينهش في خرابٍ حلَّ في قلبي..
أكنت أفقدك ولا أدري؟

يا الله مطلع على أوجاعي إني مشتاق له..

ألا ترويني بحبه..

إني عاجز عن عناقه..

كل عقلي يأخذني لبداية عمري معه..

إني أقع في بؤرة ألمٍ تتحكم في كياني كله..

كل شيء نسخة قدِيمة، كل تصرف أقوم به أو يحدُث حولي أراك خلاله..

كل شيء يَحدث ألتقي بك في أصله..

كل كلمة أبحث عن رابط لك في معناها..

إني محتاج لك بمر الاحتياج وكسر الفقد.

آهات صارخة..

مؤلم أن تبتسم بثقل الحزن..
أن تفقد السيطرة تمامًا بعمق الفقد..
أن تبقى حيلتك الدفاعية ضحكات سريعة ساخرة..
انحناء فانتصابًا، سقوطًا فهذيانًا وارتطامًا..
نارًا تهلك القلب.. فنداء بكل آهات الحزن..
فنداء بمر الاحتياج..
ألا تتوقف الذاكرة وتثلج المشاعر..
أو ألقاه عساني أطمئن..
حي في قلبي ينزف بالذاكرة..
تمر الحياة بعد الموت..
فوضى، تيه، وظلمة..
كل شيء تحوَّل دونك..
ليتنا نلتقي.. ليتنا نلتقي..
أوكم مؤرِّقة قاسية هي الحياة!

في العوالم الخفية

قصاصات شعر حزينة تشتاقك..
حبر نازف أسى، وقلب واهن احتياج..
يطوفان نحوك، يروحان لروحك ورائحتك..
أرضك وترابك، كل ما يخصك يثقب القلب..
همس ورجاء، أرض زرعت فيها محبتك..
عينان تخفيان لوعة الفراق..
كلهن أنت..
قلب يرق ويئن في العوالم الخفية..
روح وريحان نسمات روحك عمرٌ..
أحزان تحني استقامتنا قهرًا..
أجزاء الروح تشت وتتبعثر..
وأفقد اتصالي بالعالم دونك..
أسقط بعد مرارة في القلب تأكله..
تروح المشاعر أرضًا..
لأتحول في جزعي وفقدي امرأة تهرع ضاحكة متآكلة..

لا يساوي العالَم في لحظتها دقات قلبك أو لمسة يدك.
انكشاف قلبي دونك مر..
سقوط رجائي وأملي في بقائك..
تزامن مع انسحاب الروح.
أصوات العالم تهذي في رأسي..
لطيفة ووهنة جدًا على الصمود.
تنفصل الروح تاركة الجسد..
لهفة لعناق، هذيان، تتعالي آهات..
بجزع صارخ وضحكات مكذِّبة متألِّمة.

نوستالجيا..

الرابع من أبريل لهذا العام ٢٠٢٠ .

مر ثلاثة أشهر كاملين، أفتح عيني وأغفو دونك..

أترجَّى طيفك، أغوص في لهفة لتلك النسمات منك في أرقِ الليل وأعماق الحلم، فهمت أن الحياة تشدني للأرض، أقصد ماديتها وخلوها من المشاعر، حين أود رؤياك، حين أود لقاءك، حين أبتسم لطيفك، حين أشعر بأنك تراني، حين أشتاق بجزع لا حيلة لمقاومة ألمه؛ لتصبح مشاعري خارج السيطرة، وبعيدة تمامًا عن التصديق..

أذكر دفء عينيك، كم تأملتهما طويلًا في صمت أهواك فيه، ابتسامتك، تفاصيل وجهك، للحظات تأخذني تلك الطريقة التي تبتسم بها، لم أرَ في لين قلبك، لم أعرف أحدًا يتقي الله مثلك، يثق به في أوْجِ المرض، وعظمة الاختبار!

آاااه على لحظات النهاية..

تلك الحياة مرة، قاسية، لم تكن ببراءة نظرتي الأولى، ولا تلقائية وفوضوية أوجاعي.

صفعة فقدانك يا أبي غيَّرتني تمامًا، لقد كنت مُخدرة مسروقة في تلك الدنيا، رقيقة كقلبك، أجد نفسي في الكتابة الرومانسية، أبحث عني بقلق، ضائعة في أفكاري، مشردة، لا أدرك الأسباب لآلامي..

عقلي كان مرهونًا دومًا بقلبي، لذا أبدًا لم أعرف كيف أسوق الأمور، وأدرك بعين الألم، بأم الحقيقة التي عميتُ قلبي عنها، لأنني كنت موتورة بقدر الإنسانية، وغزارة الحب في قلبي، مثلك تمامًا..

ومثلك تمامًا، لم يدخل الشك إلى قلبي، يؤرقني عقلي بالتفاصيل والكلمات، بالتصرفات، الوساوس التي تجعل البعض يتعجب من قلقك المفرط، كم اجتهدت في إخفائها..

أود الاعتراف بأنني مغمروة في أيامك..

بعض مني يناديك، بعض مني يتحسَّس روحك حولي، بعض مني يتخبط متقد على حافة الهاوية، وكلي هو أنت.

شظايا وفتات..

وأنا بعدك ابنة أخرى.. بقلب مبتور، وعينين يتلهفان لصوتك..

في لحظات الوسن واليقظة روح تلقاك..

تحيك من ألم فقدك سورًا يخبئ نزف قلبها..

نفس تتهادى في شراعك، وقلب ينفطر ويئن، يرسل ويبعث نفس المشاعر الرقيقة..

شظايا وفتات آلامي تحوِّلني لأخرى، أكثر ضعفًا، أكثر قوة..

أنفاسًا تَحمل قلبك عمرًا، أواصر محبتك، دفء عينيك..

وأنا بعدك أتعلم الإبحار، ريثما أتفادى الغرق، السقوط بثقل الألم الساكن..

اشتقت بكل جزع الفقد، بكل آهات القلب.

صاعقة الكلمة تزج بالروح بعيدًا، وتلقي بالجسد دون صرخة واحدة، دون آه عالية، تناديك..

جزء من قلبي مأخوذ يعتصر وجعًا.

صدى الذاكرة

ويبدو أن أمر الكتابة صار مرهقًا، حد أن الكلمات تخرج بمقدار الألم، وتدفعني إلى الساعات المُرة بل أمرّ ما في العمر.

أقع في فترة زمنية لا أبرح عنها، وتصبغني برائحتها ولونها..

إذ فجأة أستيقظ، لأجدني انتقلت لروح قديمة، وعقل ماضٍ، لم تحفر فيه الندوب علاماتها..

أعود حيث الأبيض والأسود، حيث الالتحام بالحب..

بفيض العطاء، وسذاجة مملوءة بالشغف.

أعود حيث الاندفاع، والنطق بمكنون القلب.

أعود بفوضويتي الأولى، حيث كنت معه..

روحي تود وصله، وعيني في اليقظة والمنام تراه؛ فيئنّ قلبي ناحيته.

أود الامتزاج بأرضه، ولقاء روحي بروحه..

تارة أبتسم له، وتارة يعتلي النشيج، وأقترب من حافة الجنون.

واشتقت أنا حبيبي، ولا أود أبدًا أن أنفصل عنك، وإن كان بيني وبينك الموت!

بعد النطق..

ولا أخفي عليك يا عزة روحي ونبضات القلب، أنني لست بخير دونك، وفقدت قدرتي على إخفاء الألم.

فجأة صار العالم كله محض هراء، ليحترق أو يهدأ، يأبهون، يوفون، أحدهم يترقب لحظة سقوط بدافع استفزاز العاطفة، آخر منفر يبتسم ابتسامة صفراء، أرى في عينيه قوة مستترة، لا تناسبني وأمقتها.

لا أعلم لمَ يتوقعون أن أكون بنفس الصمود، ألمْ يكن حقي النزوع عن تلك السيارة، تكسيرها أشلاء بقمة الفزع والألم؟

ألم يكن حقي أن أهذي، وأناديك؟ ضغط مميت، فانفجار وتحول فوق حدود العقل!

ألم يكن من حقي رؤياك، وصب ناري في جوف تبلدهم؟

استعملوا سياسة قذرة لا تعرف الإنسانية..

يختارون وقت الضعف لتوجيه الأمور وفق مصالحهم.

لمَ اخترت تلك المشفى اللعينة؟

ألم تعدني بأنك لن تعاود السجائر؟

حين أذكر تشبُّثك، نظراتك عيونك لا تروح مني..

أود لقائك..

لمَ لمْ تعد تأتي؟ كان يكفيني الشعور بك، وإن كنت لا أراك..

كل شيء في اليوم تكرر في عقلي منذ سبعة عشر عامًا، يوم فقدت جدتي، إنها نفس الغرفة، تلك الأجهزة، أفزعني هذا التشابه اللعين.

الآن يجتمعون، بدت نظراتهم تشك في أنه الرحيل..

كنت ألفّ حولك، لاحَقني خيالي بأننا سنعاود سويًا..

لم أكن أتعامل مع الحياة بجدية أبدًا، لأقع في جوف الألم دونك.

قل لي أنك تستأنس لزيارتي، وأن روحك طابت بتلك الآية من سورة ياسين..

قل لي أنك معي، وإن كنت لا أراك..

أحتاج لحديث معك..

لا تتركني عالقة بين الحياة والموت..

عذرًا لأن كلماتي مبعثرة، بقيت أدون لك بصعوبة بالغة، وتفكك يملأني، ويظهر في أفكاري.

في وصالك أكتب..

تراجعوا، تباعدوا منسحبين، حين أفجع الألم قلبها، تحسبوا الخطوات، ترقبوا الكلمات، الجميع يخشى ظلمة الألم، وأنين الفقد، ومرارة الأسى، أحدهم ذاق قليلًا من ألمها، يستطيع أن يصمد الأن ويتماسك، ثم يبتعد، ويقرر أن يلهو في دنيا قلبه؛ كي لا يقع معها في هذا الأسى، لطالما كانت مشاركة الألم رحلة يفر منها الأقربون، ويعجز عنها المحبون.

أحدهم لم يتجرع كأس وجعك، لا يدرك مرارة الفقد، العجز الذي يأكلك، الاحتياج الذي يعري ثبات روحك.

الفقد يجعلها تكبر عمرًا فوق عمرها، من طفلة بين أحضان أبيها، تغفو، تختبئ من قسوة العالم، إلى امرأة تحتفظ بأبيها في قلبها، تتجزأ بالألم، تصارع اضطرابات القلق، الخوف، الفقد، والوساوس، إذ تقع في تلك الفترة الزمنية التي أحاط بقلبها أباها، تمتلئ بحزن عميق لا يجد طريقه للانفجار.

لبعض الوقت تعجز عن الكتابة، لكثير من الوقت لا أحد يقدِّر حجم الوجع الصارخ فيها..

الجميع بعيد، يعجزون عن الشعور أو فهم ألمها، لطالما لم تتشظ قلوبهم، ويتوقف النبض لاهفين في أوج الضعف والعجز والهذيان الذي يأتي من قلب يعتصر ويتفتت ألمًا.

فتقول هم إنْ ذاقوا تلك المرارة! فلا أحد فيهم يشعر بضربة قلبي، وانكشاف روحي، وضياع كامل يأكل أجزائي.

صدقت امرأة قالت في نحبٍ، لا أحد يشعر بالنار إلا الذي يده تحترق بها.

وانطفأت..

وقد جفت كلماتي، وسقطت الاستقامة..

راح قلبي ينزف مبتلى، ارتطم الجسد مقتولًا بكلمتين، أحرقت أنفاسي، وحنَت ظهري، لتهذي الروح..

يكسر الموت، ويُطفئ النفس، يكشف الوهن وينبثق الخوف.

قبل ادخل الجنة..

ولكن.. كيف أحيى بلين قلبك، وتفجعني الحياة بارتطام عظيم بقسوتها؟

تبصر روحي بألم الوعي وهذيان الصراع، تبصر وتتراجع برغبة عاجزة، وآاه لو أن لي القدرة على بعث صوت الألم بين طيات الأحرف..

فتات اتزان كاذب حتى لم يعد في مقدوري أبدًا..

أخشى التشكل بشروخ الأسى وذاكرة مبعثرة، أخشى أن تنساني، أعلم أنك مطمئن، قد وصلتني رسالتك.

لكن ترى أي حكمة من هذا التحطم في أشلاء قلبي؟

تغيُّر على حافة الجنون، فكك أجزاء نفسي.

أي دواء معطِّل عن التفكير كنت أتعاطاه؟

أي عقار كان يتحكم بعقلي، ويغشى على قلبي وعيني؟

الإدرك أفظع حقيقة تلتهمك على الإطلاق..

قاسٍ هو الموت حق قول الله أنه كرب عظيم..

تسمعني وتراني، وأنا عاجزة عن رؤياك أو سماعك.

إني اشتقت لرائحتك، أو بالأحرى عناقك.

أما اشتقت لي؟ وتود لقائي يا أبي؟

أخشى الوقوع في تلك الحياة، رغمًا عني مبعثرة بالقلق..

ماذا الآن أجد في جوفها دونك؟

أجدني أتحوَّل دونك، أتغيَّر، أهذي، أحيانًا ما أحاول في فرض الحدود، وأحيانًا ما تمس أعماقي آلامي كلمة أو تصرُّف لا يستحق أن يفتك بقلبي.

نعم، صار من البسيط أن تقتنص كلمة جزءًا مني، ومن الصعب ابتلاع الدمع أو إيقاف سيل آلامي عن النزف.

تذكر حين كنت أنهي حديثي معك بأنك لا تفهم أمري يا أبي؟

وبكل رغبتي أحاول شرح وجهتي ومقصدي..

كنت أود القول أنك أبيض طاهر على أن تفهم أن ما تخشى الله فيه وتقول حد الله بيني وبينه، يراه البعض أقل من العادي..

أن ما لا يَقدر نقاء ونور قلبك على تقبله، يستطيعون فعله بكل دناءة.

وأنك رقيق المشاعر، تأخذ القلب، كنت أسمع حديثًا أعرف من كل قلبي أنه أنت، بكل إيمان، وكل تصديق لا يخال إليّ الشك.

حديث عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ﷺ: "ألا أخبركم بمن يحرم على النار، أو بمن تحرم عليه النار؟ تحرم على كل قريب، هين، لين، سهل".

دومًا ما كنت أطمئن نفسي به في حياتك، حين أضجر من الآثار الجانبية لفرط المشاعر، اللين.

ولأن تلك الأية، قوله ـ تعالى ـ: بسم الله الرحمن الرحيم {يوم لا ينفع مال ولا بنون ﴿٨٨﴾ إلا من أتى الله بقلب سليم ﴿٨٩﴾}

ربي يطمئنك، وتنعم في جنته..

أبصر بذاكرتي التي أغوص فيها أراك بقلبي، بمشاعري، بكل ما عشته في أرضك، وفي محياك، وبين أنفاسك، وفي عناق يدج في قلبي محفورًا بالأنين..

إني أشهد لربي أنك خشيت مقامه وحدوده، إني أراك في آية ربي..

ولا أجد تفسيرًا أو دافعًا لتلك الضحكة التي كانت تأتي بجوار عجز وهذيان انحناء وجبل من الألم، إن قلبي كان يشعر بأنك ستنعم وسترضى.

بسم الله الرحمن الرحيم سورة يس: {قيل ادخل الجنة قال يا ليت قومى يعلمون ﴿٢٦﴾ بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين ﴿٢٧﴾}

في منتصف الليل..

فقدانك في قلبي عصيٌّ على القبول..
إني ألفّ، أهذي في فلك دنيا غريبة وجديدة..
أود التوقف، السكون طويلًا جدًا..
ترى متى يحين لقاؤنا؟
قاسٍ أن أصدّق أنك تراني، وتسمع حديثي، وأبدًا لن تجاوبني..
بيني وبينك حائل الموت..
كرب عظيم هو الموت..
كم من الوقت سأجاهد لألمّ نزيف الروح؟
كم من الروح سأبحث عنك؟
كم من المواقف سأصطدم بأني دونك؟
وأنه عليّ التقبل والمواجهة أكرم من الارتطام؟
صوت الباب حين يُفتح يهيأ إلى قلبي وعقلي أنك ستأتي ناحيتي بابا..
في منتصف الليل أتلهف إلى كل التفاصيل بيننا..
فمثلًا، لا عناق في العالم يشبه غفوتي على أنفاسك ودقات قلبك، حين أدخل أنتظرك في مجلسك بهيئتك ونظرتك.

قطعة من الروح منقوصة، ضائعة، لا يمكن الكذب والانسحاب في هذيان أكثر إيلامًا..

أرى أنني تجرَّعت كل ما هو أكبر من عمري..

لكن فقدانك أشدها جزعًا على قلبي.

وتمضي الحياة.. مفتتة الروح في صمت وابتسامة مزيفة.

دومًا كنت أجيد حفظ ماء وجهي، بل وإيحاء بصورة غير حقيقية، كان الباطن بعيدًا ومعقدًا، مهترئًا وجميلًا، لكنه خفي، ولا يصدَّق أبدًا.

أجيد هذا، لطالما أفضِّل لنفسي حفظ مكنونها عن عبث الأيدي واستفزاز المشاعر، ثم إنهم يتبعثرون، يتباعدون من ألم خوف أن يطالهم مع أنَّ الأيام دول.

إني أعتز بنفسي في قوتها وضعفها، وطيات بين هذا وذلك، لطالمها رددتها لي أبي عمرًا.

كل الجميل من آيات الله يناسبك، يذكّرني بك حاضرًا..

اللهم اغفر لأبي، وارحمه، وأسكنه فسيح جناتك.

ربما لأنه كان الأخير..

تناديني الأماكن، الشوارع، البيوت، أرصفة الطرقات.. بألم يتسرَّب لأجزائي، حتى سلم المسجد الذي بجواره انتظرتك..

تفاصيل لقائنا، المكالمة الأخيرة، وحديثنا في ذلك المطعم المفضَّل..

أذكر كل تفاصيل يومنا هذا..

ربما لأنه كان الأخير، ربما لأن كل شيء فيه كان غريبًا ومختلفًا..

كان قلبي يشهد عطاء قلبك، وفرط الحب الذي يضيء عينيك..

ضحكاتنا كانت الأخيرة، وذلك العناق الفائض حبًا.

عند مفترق الطرق، أندهش أنا لعيون الناس..

وبلين وبساطة، تقول كلماتك المحفورة في قلبي..

"واحد بيحضن بنته".

فأجاريك أكثر..

كم كنت أستفز طيبتك أكثر..

لأن متسع قلبك كان يسعني وأكثر..

لأنه بعظيم لينك ونقائك أقرب للمستحيل.

ذلك المقهى خاصتنا، أمرّ فلا أجدك فيه..

ذلك الشارع.. وتلك المحال أشم روحك فيها..

حديثنا العابر الذي بقى في قلبي..

فرشاتك وحذاؤك.. أشياؤك كلها صرت ألمسها بعمق الألم..

أراك مقبِلًا في اتجاهي..

شيء في قلبي لا يصدق، وأجزاء مني تمحي مني فاجعة فقدانك..

وأنتظرك تجاوبني..

أنا لا طاقة لي على مجابهة الألم.. لكني حزين بكل ما يعنيه المرء..

أن يشعر بالحزن يملأ قلبه.. أن يمتلئ بالعجز والرفض، الانحناء والوهن.

انكشاف الألم رغمًا عنا ألم فوق الألم..

كشف الحقيقة صادم، ويدي فارغة من المقاومة، وروحي في التيه غارقة.

تعبت السقوط والمقاومة، سئمت قيد العاطفة..

لكم من المرات أوجعني، ذلك اللطف الزائد..

إن قلبي عزيز وأليم؛ يئن في خفاء الصمت..

ينزف دون رجاء يعتليه..

ربما أنا في احتياج للقائك جدًا.

وإني اشتقت لوصلك..

قلبي يبحث عنك.. يشرد متمنيًا لقياك..
أيا نوري وبصيرتي..
إني اشتقت بجزع صارخ..
صوتك يدوي في أرجاء عقلي..
نبرة صوتك تحيط بروحي..
غمرة الحب في عينيك أنا فقيدها أبي..
لمسة يدك، ورقة قلبك، دفء عينيك..
خُطانا سويًا، ابتسامتك في عيني.. تسكن نبضي.
مشتاق إليك، وما في صوتي وأنفاسي.. قلبي وفتات آلامي، غير أني أحبك.
لكن بصيرة الألم، وعجز فقدانك، يحولني تمامًا.
ترى هل تتلاقى أرواحنا قريبًا؟
كل ما في القلب يهرع، يصرخ.. إني مشتاق..

عزيزي بابا

القريب البعيد، الحاضر الغائب..

أطهر البشر الذين رأتهم عيني، وأبصرهم قلبي، فيضان الخير الذي ينفرط من يدك، دفء العطاء، جميل الحنان الذي يشع نورًا في عينيك..

أنفاسي تروح ترجو عناقك..

دقات قلبك كانت بيت آلامي وأحلامي.. عمري وأسفاري.

لين يا أبي بطريقة لا تصدَّق.. بطريقة لا تشبِه فظاعة هذا العالم.

أعرف أنك مطمئن، تلك رسالتك قرأتها، لكني هنا عالق بين الموت والحياة..

كيف أقوى الاستقامة بظهر حنَاه فقدك؟

بقلب انقطع حبل اتصاله بك؟

الألم، الأنين، والهذيان، الأصوات، الأحاديث بيننا.. تلك مرارة الفقد غير مرئية..

تسوقنا بجنون عارم لنقع في فترة ماضية..

أجدني أرتدي نفسًا قديمة، لطيفة، ساذجة، حالمة، تشبِه طفلة لا تدرك أو لا تعرف أصلًا ما يعنيه الإدراك أو النضج.

لماذا أسقط بعيدًا معك بروحٍ في الماضي؟

لماذا تهاوى الجسد، وتركنيً في الصمت الأسود؟

عقلي يتفكك يراك حاضرًا، أبصرك، أسمعك..

في الغرفة على مخدعك، أروح لعناقك؛ فيئن قلبي بصمت العجز وفقد الحيلة..

على الكرسي قلبي ينخلع لا أراك..

سجائرك ومطفأتك تلك التي أحضرتها، تذكرها؟

آخر ما تبقَّى لفاجعة قلبي..

حين أذكر كلماتك الأخيرة، وعدك.. نظرة عينك تعج في قلبي انتفاضة ورغبة مرغبة في آهات صراخ مدوية..

مساحة القلب أبت أن تحتمل هذا كأي وجع امتصته روحي بوهن؛ ربما لأن انكشاف الألم صارخ، لا تقبله نفس عزيزة.

إني اشتقت بشرخ في قلبي، بعجز وروح هامدة مهددة دونك.. دونك كل شيء يتجزأ، يتحول تمامًا.

أبدًا لم أقل لك أنني كنت أول الشغوفين بهوس تشرَّبه قلبي وعقلي بكل قصاصات أسفارك..

كنت ملهمًا نما في روحي عمرًا طويلًا..

كنت أعرف كيف أبصر نفسي وأحس الاختلاف..

لذا وجدتني أشبِهك بطريقة أحببتها جدًا..

رغم ذلك النزاع الداخلي الذي نشأ، يبدو أن هذا اللطف الزائد اللين يؤدي للضعف، لاستنزاف المشاعر..

لكن ولعظيم الحب، وبنور وجهك الذي رأيته في اللقاء الأخير.. أنك أوتيت بقلب سليم..

ويحق قول الله ـ تعالى ـ:

عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ، قال: قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ: {ألا أخبركم بمن يحرم على النَّار، وبمن تحرم النَّار عليه؟ على كلٍّ هيِّن ليِّن قريب سهل}.

يا بيت قلبي

في قلبي حاضر، في عيني ظاهر، وفي كل تفاصيلي ألتقي بروحك حاضرة..

رقيقًا، طيبًا، صعب وصف عظيم عطائك، فيض حنانك، لمسة يدك، عناق وأنفاس، دقات قلبك سُكنى روحي..

تلك التي تعجز همسات الحروف عن رسمها.

أصدَق المحبين، وأطهر الخاشعين.

أحار يا أبي في فلك قلبك ألف تائهة، متلهفة برغبة عاجزة..

لا قهر يصب جمرة نار مشتعلة كألم فقدانك..

بدا قلبي يتآكل في عجز..

لا حيلة لمقاومة قضاء نزل كصاعقة أسقطتني دون أنفاس صارخة، تفشي كتل الحزن، صمت الموت، هذيان فاجعة قلب ينزف بحرارة.

إني لا أنساك يا ليلي ونهاري، أنيسي و حبيبي، عمري وألمي، حزني ولهفي، استقامتي وانحنائي المرغَم، أرضي التي نبتت وسقيت بأصلها الطيب، وجذورها العميقة.

وحدك تسمع آهاتي وندائي بمر الأنين..
مخدعك، وفرشاتك، حذاؤك، جاكيتك في حوزة قلبي.
يا آه وألف آه تعتلي أنفاسي..
ليس بعد الفقد إلا موت قيد الحياة..
ليس بعد فقدانك إلا سراب وتعري.. تحول جزع ومر صادم.
لحظة واحدة خلعت جدار الروح..
لحظة واحدة فككت، وأسقطت استقامة الجسد..
لحظة واحدة نهشت قلوبنا بقسوة أمر حقيقة في الكون كله..
لحظة واحدة كل شيء صار سرابًا، وجنونًا، وإنكارًا، وصراخًا مقيدًا بين الإنكار والعجز، بين الحزن والهذيان، التسليم والجزع المر.
اشتقت لحب يتدفق من عينيك لون البندق..
اشتقت لدلالك لي، كلماتك، وصوتك..
صوتك، نبرة صوتك..
من الصعب جدا ألا يحبك المرء..
لطالما جاذبية الدفء والحب تنصهر، تلمع في عينيك..
لطالما يداك شغوفة بالخير..
أثرك جليٌّ كالشمس، ساطع، فارق كالموت تمامًا..

لو كنت أعرف أنها النهاية لأطلت في العناق..

لجابهت وأصررت على جوارك..

لو كنت أدرك أكثر لخرجت من عمري، وكسرت قيودهم الباردة..

لتصرفت بجرأة أكثر..

لأقتربت وأطلت النظر لعينيك..

لأمسكت بيدك وملأت روحي منك ببضع كلمات.. ونبضات.

وأن رسائلك تصل لقلبي..

وكنت أعتق الحب في قلبي بمثالية حالمة لا تشبه تشوهات هذا العالم أبدًا..

أبعد وأنقى وأكثر براءة على الاصطدام والتآكل..

فيض من العطاء ربما نقرأه في قصائد عاشق ولِه، أو امرأة أسقاها الحب مر الصبر.. ولوعة الفراق..

كبرت وفي عيني شغف عظيم نحو الحياة، الحب، والاكتشاف..

السفر.. لطالما كان أبي دافعًا لهذا، لطالما كان الرابط القوي الذي يستقيم به ظهري، ويتشكل به عقلي، ويندفع به قلبي.

حقيقتي الأصلية، وليس اقتباسًا، أو جزءًا، أو تقمصًا..

إنه أعلى وأقوى اتصال الروح..

حين ألتقي بعين أبي أرى نفسي، وأبصر كل تلك الدوائر المعقدة التي أتجزأ فيها، وأبصر بعين الألم ومر الفقد، وأنا على حافة الجنون والهذيان.. إنه القريب البعيد.. القريب البعيد..

القريب البعيد خط في روحي جذوره، وأنفاسه..

فيضانات العاطفة التي ما تبرح إلا أن تؤذيني، أحملها في روحي، هي قلبه، ورقته التي تملأ الكون بأسره، والتي قد شكلتني سهلًا للخوض في حدوده ومس أرضه..

أو انتهاك هالة المشاعر الأولى بغير حق..

أحبه بما يفوق الوصف.. أحبه وأنا ضلعي مشتاق لعناقه، وروحي تُجن لرائحته، وعيني تلقاه، ولو أن لي لمس يداه.. هو القريب البعيد..

اشتقت ولا أرى في موج آلامي وعمرى القادم إلا عينيه حاضرة..

وأنا الذي لم يعرف طريقًا للصبر، يسقط مهشمًا في رجاء؛ طالبا لقياك، يتقرب بصبر..

وأنا الذي كان ينأى عن المقابر، لا يعرف عن الموت غير اللون الأسود، أقع على أرضها لتصير موطنًا ورجاء..

اليوم أدركت لِم تفزع إنْ ارتديت الأسود..

إني أيقن بحضورك ولقائنا في عوالمنا..

وأن رسائلك تصل لقلبي.

على أعتاب الذاكرة

في الثانية عشر من عمري قبل أن تخطفني الأيام..
وأعرف شيئًا عن الأسفار، قبل أن تسقط غشاوة عيني وقلبي..
قبل ثقل الوعي والاصطدامات الكاشفة بوهن البصيرة وعمق العاطفة برقتها الوردية.. قبل تلك الصراعات الحدية..
قبل أن أتلمس حقيقة الأساطير الحالمة في عقلي عن الحب.. ويبصر قلبي بين التمرد والنضج، التحول بيد الألم والحنين العاجز..
قبل أن تعرف التحولات والتشوهات لنا طريقًا..
كنا آخرين قابعين، نرى العالم بنظرة وردية..
لا أعلم ما هي الجدية، أو طعنة نافذة في القلب تنتهك أنفاسك، وتحني استقامتك..
قبل أن أدرك هول سقوط الجسد، وانسحاب الروح..
ذلك الذي إنْ عاودتك أنفاسك حينها ستقف باستقامة ظهر نفس أخرى بمر وقسوة وليدة الفقد والتمزق..
قبل أن تنصعق مسامعي كلمتي فقدانك..

قبل لقائك أبي طويلًا جدًا..

في تلك الأثناء، لقاء جميل لاهف بمطار القاهرة..

بشغف لا يروح، وانتظار طويل، يمحوه لقاء عينيك، ورؤيتك على مسافة بعيدة تهبط في قلبي وزنًا عظيمًا من الحب، وارتباطًا قويًّا، شيئًا من الخجل، وشعورًا بأن جزع الروح قد ارتوى، أو أن نقصًا قد اكتمل، وتيهًا قد لقى مستقره.

وجودك كان ملاذًا فررت إليه من خوف يعج في أعماق نفسي، من ذاكرة خشيت أن تعاد..

لا أقدر على وصف تلك التقلبات التي حدثت في أجزاء نفسي، فرط القلق، واضطراب نشأ ولا أجد منه مفرًا..

يبدو أنني كنت أتشكَّل بك.

هذا الذي لم أجد تفسيرًا له في مدونتي الشخصية.. كنت قد كتبتها ٢٠١٧ أي من ثلاثة أعوام، لكنها ليست في يدي الآن، أبي، ولم أضيعها.

كل شيء مات، بعد لقاء وجهك الأخير..

كل شيء تحوَّل، بعد لقاء عودتك الاخيرة..

من سنين حية يا أبي.

أو أن عناقك قد فكّك وأيقظ آلامًا لم تمت..

عمرًا فيه يفزع قلبي، وتأتي إلى عقلي تخيلات دون بصيرة..

أعبر الطريق غير ملتفتة نحو مقابر الموتى..

لا أجدها بيت قلبي، وشيئًا من رائحتك، وصوتك يأتيان في قلبي.. آه لو تعلم أن ما مر من وقت يشبه أيامًا ثقيلة..

ما وعدتني به لم يكن مقدرًا له أن يكون، ولكني اشتقت بدرجة الجنون.

طوال عمري ما ذقت الموت بثقله ومهابته..

حين رحلت جدتي، كنت أشعر أنني مخدرة بلا قدمين يحملاني، وحين رحلت يا أبي، سقط الجسد عني، وتركني لا أدرك وقتها في أي عالم كان متنفسي!

ولكني اشتقت..

ولكني اشتقت لمذاق الفرحة في عينيك، لصوتك، نبرة صوتك، وأن أغفو في حدود قلبك..

ليتني صدقت لفتات عقلي، لم تكن بالهاجس يا روحي..

إني أعود دون وعي، أو أن أسقط في بداية العمر معك..

إني أمرض بفقدانك، وكل شيء يتفكك داخلي..

لطالما أعرف بأنين ومرارة ثقيلة على نفسي أن عطاء قلبك لن أجده على هذه الدنيا أبدًا..

تيه قلبي يتسع، أي خيط يرمم فقدانك؟

أتقرأ يا أعز ما في نفسي؟

اشتقت لتلك التفاصيل بيننا..

وكأن جزءًا من الروح مبتورًا، أذكر نداءك لي في لهفة، نظرة الفزع في عينيك تأكل في قلبي..

أين أنا منك، وكل هذا العجز تأصَّل في روحي دونك؟

شعرت أنني مقيدة، ملثمة، بلا صوت، ولا قدرة على أخذك وضمك ليكون نزف قلبي معك.. أرحم من لهفة عاجزة، وهذيان يدك في كل جزء مني..

ليبقى العالم كله هراء، بلا أي معنى، وحتى أنا شعرت كوني ورقة شجر سقطت من أعالي السماء، راحت جذورها قدرًا، أنت جذوري التي عمرًا أنبت في الروح معنى لأن أكون، واللون الأخضر الذي يحمل أنفاس ورقتي.

ترى بأي لحظة؟

ومتى يحين لقاؤنا، وتنتهي رسالتي في تلك الدنيا؟

ترى بأي لحظة سأصل للخلاص والطمأنينة، وأجد طريقى مرئيًّا لعيني وقلبي؟

ربي لا تقعني في غفلة منك..

الحقيقة بمرها وقسوتها أقبلها عن متعة بقلب أعمى وعقل لا يدرك، أو أن أسقط شاردة بقلب يضيق نفسي دون بصيرة، أجدها خلاصًا من التيه والحيرة بألمها وشدتها..

ترى إلى أي بر سيرسو قلبي، وكيف بالقدر سأتشكل؟

أدون أنني اليوم وفي هذه اللحظة، أيقنت لماذا يرتبط النور والبصيرة بالإدراك والألم!

ولماذا هو «الإدراك» قاسٍ، خاصة إن لم تتسع لفهمه؛ لهلكت أو درت في أفلاك الهذي والجنون.. التفكير الطويل السجين للنفس بلا فائدة أو حركة دافعة ومغيرة مقومة..

أدرك لمَ كان البعض ممن عرفتهم قدرًا جديين إلى هذه الدرجة التي كنت أحسبها غريبة، وسريعين.. كل شيء بقدر، لا ميل، ولا انجراف..

وكأني كنت أرى لائحة على جبينهم تقول "لا وقت للمشاعر"..
"اللطف الزائد معطل بلا نفع»..
"كل شيء بمقابل، ونحن رهن التوقيت والموقف"..

كنت أعرف دكتورًا جامعيًا، ينظر إلينا بسخرية لكثرة الضحك واللا مبالاة، كان جديًّا بكل ما تعنيه الكلمة.. لقد كان معه كل الحق، لأن الحياة إن انجرفت فيها بقلبك دون حسابات وتقدير الوقت، وألف وألف تقدير لكل موقف أو فاجعة، إنما ستروح سُدى.

وإني أشهدك نورا

المتراكم من الأحاديث كله، لا يزن اضطرام النار في جوف القلب؛ لنبصر دون وعي..

هذا هو الفاصل بين الإدراك والاصطدام، الصراخ والعجز، الموت لا يوصف، نذق مر الأنين والهذيان؛ فلهفة العجز، نقع في فم الحياة دون أي مقاومة وهِنة.

عصيٌّ على قلبي ابتلاع الرحيل..

كيف أدون وألاحق صورك؟ صوتك الذي يعج في قلبي؟

كيف تصير ماضيًا، وأنت لب حاضري، وروح جسدي المضطرب دونك؟

ليتها ما وقعت تلك الكلمتين على قلبي أبدًا..

اللهم اغفر لأبي، وارحمه، وأسكنه فسيح جناتك..

اللهم اجعله في بطن القبر مطمئنًا، وعند قيام الأشهاد آمنًا.

اللقاء الأخير..

لكن جزءًا كان يسلِّم ويؤمن في وهج النار المتقدة في قلبي، لا أعرف من أين انبثق داخلي، ذلك الذي جعلني أهرع إليه دون صرخة توجع روحه المبصرة، القريبة والبعيدة!

شيء لا أدركه، أوقع الحدة المشتعلة في رأسي، وأذاب شعور الهوان والتيه، حين اقتربت منه، حين أبصرت لقائي به..

كل شيء داخلي تبدل لهدوء يخالطه العجز، وراحة يخالطها الخوف والانحناء الذي بدوره مر لا يفسَّر.

وجزء آخر.. كان عصيًّا على القبول..

حين ألمس مقبض الباب، وأحرك المفتاح، فإنني أجد قلبي بتلقائية محفورة في ذاكرتي تروح عيني لمكانه، وأحسب أنه الرقيق الجميل يجلس فيه.

حين أمر من الشوارع التي سرت فيها للقائه في كل مرة، أشعر بجزء في عقلي ناقص، شيء في روحي يختل.

حين أستمع لنبرة صوته، حديثه لي، أفزع من هول فقدانك الذي أنا فيه، وليس بحلم، أستيقظ بفزع، أصرخ بآه عاجزة مرغمة تعتلي صدري، جزء كان يجعلني أجر قدمي ما في مقدوري، بأنفاس متلاحقة، وعين مذبوحة من الألم، لاهثة، تعلم أنها ستكون الأخيرة..

لأقف بجسد مشدود يتلوَّى بجزع، ويدين ساقطتين تتوسلان الرحمة، لكن كيف؟ ليخبئوا مصائبهم سريعًا، وليساوموا على خضوعك أمام انكسار الموت..

إنها أثمن الفرص لعديم الضمير والشرف كي يساوم ويأمر على إسكاتك مقابل فتات حقك.

نحن الروح..

تحن الروح، وما بنا نملك أمام الفقد؟

نحن فتات قوة، وبيوت مهترئة سقطت أعمدتها، لتخرب معها قلوبنا، وتفزع الروح في كل طريق نخطوه..

لا قوة لإخفاء تفتت القلب، وقهر الحزن في مقلتينا..

وأنا من خبأ أثار حروبٍ وبحور من الآلام..

إنا نحن وما بنا عاجزون، لا حيلة للقاء، أو وصل قريب..

ما عدنا نتشارك عناقنا وخبزنا، لمعة العين ورقة الحب في قلبه اشتقت لها..

ما عاد قلبي يهنأ بصوته..

وكأن جزءًا من الجسد مبتور، فتبقى في تخبط وتيه مخيف، ولكنه في حقيقة الألم جزءًا من الروح مسلوبًا مفقودًا..

ما عدت أستيقظ فأمتلئ به، وأقدر على المقاومة والمواجهة..

كان سر قدرتي على المقاومة والنهوض بعد كل مرة ذقت ألم السقوط فيها..

ما عدت أطلب منه الدعاء، ما استيقظت وهنأته بعيدنا..

كانت بيننا وعود جميلة، لم أعرف أنه لن يسعه الوقت لتحقيقها..
أحتاج لاشتياقه، ولهفته لرؤيتي..
أحتاج لعناقه مرة أخيرة..
أود لو يعاد كل شيء..
أود ذلك الشعور الذي يرتبط بوجوده قبل رحيله..
فإن هذا أقسى تغيير يحدث لي..
ما عدت أتمرد لأنه خلفي..
الحزن عميق كجبال شاهقة، ودفين كآبار لا تعرف آخرها.

حبل الوصل..

وأنا الذي أضناه الحزن ليالٍ.. بين صرخة تمزق الأضلع، ودمع أغشى المقل..

أنا الذي ناديت حبيبي بحرقة الفقد.. كررتها بهذيان على محكّ الجنون؛ رجاء رد..

أنا الذي طلب الوصل في ذروة القهر.. عله يكون الأخير..

أنا الذي حناه فقدك.. ولم أدرِ أن موت الروح على الجسد يظهر خرَّ كل جزء، وانفصل عني بتلك الكلمة..

أنا الذي في عين التلهف صعقه فراقك..

أنا اشتقت، واشتقت، واشتقت..

حبل الوصل بيني وبينك لا ينقطع، إني أراه..

لم أفهم؛ كنت كطفلة أيقن بعودتك..

البيت الحقيقي الذي أسكنه عرفته أنت..

البيت الحقيقي الذي يملأني عرفته أنت..

مر أن يروح منك كل ما تعنيه القوة والأمان..

كل الكيان الذي كان يستوطن روحك..

أيقن بأني سأغفو تلك الليلة بين ذراعيك.. على صوتك وأنفاسك..

كنت الغافل الأعمى، الذي لم يدرك كل إشارات الرحيل..

أو أن عقلي أسقطني في جنون بأنك لروحي عائد..

أو أنني كنت طفلة جدًا ليخفو عني أنك سترحل..

لا يمكن أن أصف شعور الانكشاف والفراغ الذي حدث في روحي..

شعرت كوني لا شيء..

شعرت بانفجار يحطّم الكون كله.. وقهر دفين..

كنت أستمع لدقات قلبك في الليالي الأخيرة..

أتحسس أنفاسك، أشم رائحتك، وأسكن في صوتك.

الساعات الأخيرة

في هذه اللحظات الحزينة..
كل روابط الصدمة داخلي بدأت تتهشم..
هرعت ناحية الباب، أدق بخبطات متلاحقة..
قلبي يحدثني، لا أحد له في أبي أكثر مني..
لا أحد سيمنعني عن رؤيته أبدًا..
كفى.. كفى.. كفى..

شعرت بثورة نار في قلبي، خرجت من الهذيان، وانكسار السقوط، لطالما تحملت فوق الحدود، حتى كانت رحمة الله في رؤيتك أبي..

أحسستك نائمًا، تسمعني، وتراني؛ لذا قرأت سورة ياسين جوار أذنك، وأخذت مجلسي جوار رأسك..

لمس يدك الجميلة في تلك الليلة أعز من الدنيا بأرضها وسمائها.
وحين ورثت قلبك شديد الطيبة تمردت يا أبي..
لأني وقعت وتأذيت جدًا بطريقة غائرة في روحي وقاسية..
شعرت بالظلم والانشقاق، ملِئْت بالتية والتمزق..

اكتشفت أشياءً بشعة غير تلك التي أعرفها في عقلي وقلبي، أو مزيجًا بينهم..

أنا العصفور الذي فتح باب القفص لاهفًا للحرية، فأكلوه بوحشية..

تذكر يا أبي حين وعدتك بأن كتابي القادم سيكون مُهْدى لك؟

لم يخطر ببالي أنني سأكتب كل حرف فيه عنك ولك..

لا أحد يعرف ماذا يخبئ الغد..

ففي ليلتنا حين ازداد سعالك، لم يكن قلبي يدري أنها آخر ليلة في بيتنا، وأنك يا قطعة من قلبي راحل، وأن النهاية اقتربت.. تعرف أبي كنت في لهف عارم لاحتضانك، وهممت بأن أغفو بين ذراعيك حتى اشتد السعال.

آه يا حبيبي، أيقن أنك مرتاح الآن..

ما عاد هناك مرض، ولا ألم، ولا حرج، ولا مشفى، يا عزيز النفس.

في الليل أحادثك، ويصل ألمى حد أن أنتظر ردًا منك..

أبكى لأني أصبحت فارغة منك، وأنا كلي أنت..

لأن كل شيء يجعلني أصرخ بوجودك، بحضورك، بأنك لم ترحل..

لأن الحياة التي أعيشها بعدك غريبة، صادمة، ومخيفة..

وأنا عند عودتك من سفرك، تذكر؟

كنت أخيرًا وجدت شعور الأمان، ونبت داخلى قوة لأنك خلفي.

آه يا أبي، الأمر داخلي معقد جدًا.. أود لقاءك، هذه الحياة كلها بغضة، أمقتها

أنا اشتقت يا أبي..

أنا اشتقت يا أبي..

ولو قلتها عمري كله لا يصف وهني وحزني وانكساري الذي بات عاريًا منكشفًا.

حين تصعد الروح..

نصفٌ يسلّم وييقن براحتك، وأنك مغرق في نعيم.. أنا رأيت كل الإشارات..

مسحت عرق جبينك، ورأيت نور وجهك بعد قبلة الجبين..

وسمعت المئات يتحدثون سرًا وعلنًا عن إحسانك ولين قلبك..

وأنت يا أعز ما في عمري وفيت بطلبي لك، ورأيتك، وذقت شعورًا سأذكره عمري كله،

برؤيتك يا حبيبي.

ونصف يسقط ويئن من كل كلمة، عناق، يشعرني بفقدي لك..

نصف يصرخ، يتيه في ظلماتٍ، لا يأوى لقلبك..

نصف يشعر بالانكشاف والتعرّي دونك..

انحناء الظهر كان ظاهرًا ليلتها يا أبي من قهر قلبي..

أنا مت، وأحتاج لك، لو تسمعني..

لو تقرأ أنني أسقط في الخوف والوهن بعدك..

إن كل شيء قاسٍ، والعالم غريب، ويشكلني لأخرى..

وما بيدي أن أقبل أو أرفض.. أنا أتجزء بالعجز.

أنات الروح..

وصرت لا أقوى على الإبحار.. سقطت كل إرادتي لاستكمال الحياة..

لمواجهة كلمة أو نقاش يحتمل الجدل..

أو نظرة تقول أني موجود، ما زلت حيًا لم أمت..

لطالما أصاب سفينتي ثقبًا ليس بهين..

واهترأ الشراع الذي كنت لا أضل دونه..

الذي كان يحتضن الإعصار لو اضطرب الموج بالأنين..

لو صرخ قلبي، وبكت عيني، وانسحبت عاجزًا.

صرت لا أقوى على الإبحار..

فلك عظيم مثقوب يتسرب إليه غرق البحر..

تبلعه أمواج من الحزن العارم، وضربات البحر ساقطة..

في أعماق الظلام دون متنفس أو نور..

لا الطير يحملني، والموج يرمم ثقبي، وقد فقدت شراعي، وانخلع قلبي..

بالآهات انكشف لروحي تعري الألم، انحناء الجسد، فاستقامة وضحك الخوف..

شيء من الجنون كان يحطّم أجزائي.. ويعلي النداء، مكذبًا تلك الحالة بمهابتها وهونها..

تود تكسير كل جزء صامت هادئ حولك..

تود تحطيم قيودهم، وترك صراخك ينزف.

وتبقى في روحي..

الجرح خفي عن العين، ينزف صوت الأنين، يأكله الحنين.
صفعات القدر قاتلة..
ويا إلهي من تضارب العقل.. من آه تدوى عاجزة..
من لحظة سقوط وأنت تتشبث بخيط أمل رفيع..
وأنت تتلهف لرؤية تشبع روحك، وتلم فتاتك.
الحياة انقلبت بفظاعة دونك أبي..
أين تأوي روحي في جزعي وضيقي الشديد؟
أين أهرع مطمئنة؟
أنت بيتي.. حبيبي الذي فقدته..
كل الإشارات أبكتني وأوجعتني.
لكن كيف لقلبي المسكين أن يدرك هول رحيلك؟
عجزي ووهني لحظة الرحيل، تلك التي ماتت فيها نفسي..
وانحني فيها جسدي كعجوز بلغت أرذل العمر.
أنا اشتقت.. وأبغض العالم دونك..
كم أحمل في نفسي شروخًا وأذى بالغ!

في لقاء روحك

أقول أني أحبك بملء قلبي..
هل يسعك أن تسمعني؟
هل يسعك أن تكون قريبًا مني؟
وأن ترى أمري من لهفة وانشقاق؟
دفة السفينة لا تعاكس انحراف التيار.. مفقودة..
فارتطام موج البحر يغرقني، يسكب ألمًا عميقًا.. يهترئ الشراع..
وأنت ربان قلبي، بيتي ووطني، أرضي التي تلم فتات نفسي..
خبزي ومذاق الحياة.. كل ما أملك لأحيى..
كل الأسباب التي تبقيني..
وفي قلبي حفرة غائرة، واسعة، تنفتح بمهابة..
وصمت عاجز يعتلي الروح، بات فكي، وجهي يتّسعان لابتسامة لم أعرفها أبدًا إلا في لقاء روحك.

حين تسقط غريبا

وأنت النور الذي أضاء عيني، والنبض الذي أحيى قلبي، أنفاس الحياة في روحي..

أحببتك جزءًا جزءًا..

كانت تلك اللحظة، تشبه حين يُنفى عزيز من وطنه..

حين يسقط على أرضه الوهنة بآهات مولعة قهرًا وحزنًا..

تشبه لاجئًا عربيًا فقد وطنه، ليصبح غريبًا، ولو احتضنه ألف عزيز.

يا أصدق عين رأيتها، لو يسعك قراءة نبضي..

أنا أحبك..

وما زالت أجن لو أشتم رائحتك..

ولو تقرأ فإن العالم كله إلى الممات..

لا يقدر بلمسة يدك ورجفة صوتك.

يا كل روحي

أنا مملوءٌ بك.. مكتظ بعينيك.. سابح في أيامك..

دفتري وقلمي واحتضان كفيك، فستاني وجدائل شعري، نبرة صوتك في خوف وقلق..

تلك النظرة في عينيك..

لم أحب شيئًا في العالم كعناقك..

كل شيء معك، كان مختلفًا يمس روحي..

يا كل روحي.

اللهفة الأولى بعد انتظار طويل..

خفقان قلبي والارتباك عند لقاء السفر..

خطوات العمر، ولحظات الفزع والخطر..

كل شيء مَرَّ وقتًا بقلبي حاضر..

الرقة واللين يلمعان في عينيك..

وابتسامتك لها وقع على قلبي..

افتقدها..

حين يعتلي صوت القدر، وتنشق الروح، أيقن أنه لا أقسى من الموت..

يا ألف آه من الوجع..

وألف صرخة عاجزة.. تسلم قسرًا.. تجن، وتحس العالم كله هراءً وهذيانًا..

ويعقبه نفس الشعور، أنك لا شيء..

لا شيء، أنت طفل صغير يمسك بأمل العودة..

فيصعق بكلمتين يعجز قلبي عن خطهما..

بعد سقوط الجسد تجر ما تبقى منك، يهرعون على السلم..

وآخرون ينظرون إليك في خوف، لا يتحرك فيهم ساكن..

وآخر يقترب يتلذذ بالضعف..

أنت أدركت رغم الهذيان.. رغم العجز، وقيد يكتم الصرخة..

شيء بداخلك يود تكسير كل جزء سليم..

الآهات بين الضلوع..

لا أحد يشعر تمامًا بالبركان الملتهب في قلبك..

لِم تفقد عقلك تمامًا؟

شيء بقى يربطك بالحياة رغمًا عنك..

الألم يدفعك لقطْع آخر خيط بالحياة.. لترك عقلك تمامًا..

تود القفز من تلك السيارة..

آهات الفقد.. أكنت تسمعها؟

تعتلي الصرخة، تدوي في السماء..

بوجع يجحم صدرك..

أنا أحبك.. لو تقرأ.
وهذا العالم لا يقاس.. بأظافر يدك أو رمش يقع من عينيك..
بعد تلك الليلة المحفورة في قلبي..
لأول مرة أقبّلك، وألمسك باردًا..
كان ثقيلًا على نفسي، أن أقف وأتقبّل رحيلك..
بلا صراخ يؤذيك، أو تمسك بك..
فيأخذونك مني، دون وداع ترضاه..
ولو تشعر بي..
فإني أتخبط..
وأتشكل نفسًا أخرى..
خرجت لتوها من بين ضلعيك.

في عوالم الروح

وشكوت مرارة غيابك لك..
ونزفتُ دمع العين فى حلم..
يخبرك قلبي عن كل لحظًة، وكل شعور عشته دونك.
وسكبت الشوق والآه متوارية فيك..
أستعيد روحي بلقائك..
أتنفس بعد الآهات من جديد..
وبحتُ عن حزني العميق..
وتحولي قسرًا دون وعي مني..
بكيت بكل كياني وروحي..
لأصف لك أنني كنت لا شيء دونك..
إنني مزروعة بأرضك..
مصقولة بك..
إنني خواء هشة..
بات مستساغًا توجيه السهام إلى قلبي..
باتت كلمة تخرب في نفسي..
وبت شفتاي عاجزة عن النطق.

لكم استوطن الألم والحزن في عمري وأبعاد روحي.
الفقد يا أبي، أن ينشق قلبك نصفين..
فأبحث عن نصفه الآخر في كل حياتي..
فأحن لعمري ونفسي معك..
فأجن أنني أحن لتفاصيل في ذاكرتي فقط.
كان ثقيلًا في روحي أن أصف لك عذاب نفسي..
حين ألقوا على مسمعي رحيلك..
كان ثقيلًا أن أستفيض أكثر في تلك اللحظات..
لأستفيق بسقوط دمعة..
وأدرك أن لقاءنا في عوالم الروح.. انتهى.

إلى عينيك..

أنت خيري كله..
دمي الذي يسري بأوردتي..
أنفاسي ونبضاتي.
جذوري كلها أنت..
وطن انتسب له..
بيت يلم جرحي..
يبني كل أركاني..
يُعلي صوتي..
يدفعني باعتزاز.
تناديني بلهفة أو وحشة..
تُسائلني بنبرة حانية..
عن حالي يا كل أحوالي.
اشتقت لصوتك بعد التعب..
وأنفاسك نائمًا..
نبضات القلب.. وآه.. وألف آه..

كنتُ أسمعها خوفًا وحبًّا..
وظننت تلك وساوس عقلي..
تخبرني برحيلك ليس إلا..
أو حتى صوت سعالك.
اشتقت لجمال الروح يتجلى في عينيك..
وكلماتك، وكل فعل قدمت عليه أو بادرت به.
اشتقت..
كل شيء فيك..
كل تفصيلة منك..
حاضرة في قلبي.
بت مملة..
أأخذ كل الأحاديث عنك..
أربط كل المواقف بك..
أراك في الحركات والإيماءات..
فأندفع بالحديث عنك.
بت الشخص الحزين الكئيب..
الذي يبعث الكآبة والأسى.

بت مليئًا بالتفاصيل..
حد الانحناء.
بتُ أذكر لحظات..
فتتخبط نفسى..
ويعلو صوت آهات الألم..
رغمًا عني.
بت..
دفء المشاعر..
لقلبي الحائر..
أو عقلي الثائر.

ذروة الرحيل..

أنا من أولئك الحالمين، الغارقين في التفكير..

تحملت ضريبة هذا عمري الماضي، ولا يسعني القول غير أن الغرق في التفاصيل يلف حول رقبتك ألف قيد.

أحيانًا ذرات الهواء تصير ثقيلة، تستدعيك للبكاء..

كتبت ذات يوم لأصب جمرة ألمي، وكتمانًا يبعثر قلبي..

بينما شفتاي مطبقتان، ويداي قابضتان، أقع بين أنياب العجز والاصطدام.

كل هذا، وكنت ألم أجزائي ما هو حيُ مني أو ميت..

بين دواخلي صراعات ودوافع دفينه أدركتها مؤخرًا..

كل هذا، وكنت قوية للحد الذي لا يُصدق..

للحد الذي تستقيم بعدما انفرطت لأجزاء وأشلاء باردة باكية.

إلا تلك الحالة حين أكتب لأبي.. كانت تشطرني، تُحيي كل الساعات الأخيرة، نظرة العين، قُبلة الجبين، الكفنُ الأبيض، تلك اللحظة أسلم بعجزي، وأقبله بيقين لم أكن أعرفه في نفسي.

النور الذي رأيته في وجهه لا يصدق..

يا الله.. سبحانك إلى الممات..
حينما حملوك يا أبي، صرت أشعر بأن البيت ينهدم..
لحظة يتوقف فيها الزمن، يسقط عمري كله.

همسات الروح

أكنت تراني؟

في تلك الجنازة وسط الزحام يتسارعون، وأنا قلبي يموت اشتياقًا، مكبَّلة أمام قضاء الله..

كل إيماني الذي لم أكن أعرفه بهذا الحد اندفع معك هذه الليلة الثقيلة، تلك الآيات كانت تدفعني إلى الاطمئنان في ذروة الحزن.

حين خرجوا وتركوني جوارك، شعرت برغبة في رفع ذلك الشال؛ كي أرى وجهك، وما تجرأت على فعلها، خشيت أن يؤذيك هذا.

لا أدرك حقًّا، كنت طيلة الليلة أقرأ ياسين قرب أذنك، ولم تُقدم يدي على كشف وجهك..

ربما لو فعلتها، لضعف صبري وجننت.

فقد كنت وصلت بالغ تحملي حتي انحنى ظهري كامرأة عجوز، وتورمت عيني بشكل بالغ لم يحدث من قبل.. بالكاد كنت أرى بها.

كنت أخشى أن أناديك فلا تجيب، فأصرخ؛ وأكون سببًا لحزنك..

كنت أتخيلك في الغرفة تراني وتسمعني إذا كنت أهمس لك..

لن أنسى عمري كله حين رأيتك في نومي..
شعرت باطمئنان لم أعرفه أبدًا، شعور يبهج النفس..
جعلني أستيقظ مبتسمة راضية..
كان هذا آخر طلب طلبته منك..
حين ارتديتُ عباءتك بمحض الصدفة.. لك.

حين تصفعك كلمة الموت

أنا كُل ما تبقى منك..

إرثك على هذه الأرض بعد الرحيل..

خجلك ورِقة قلبك، قِصص العُمر كلِه، تاريخي وجذوري.

عيناك دُنيا، لم أطأ مثل روعتها أبدًا.

فتحت شرنقتي وحلَّقت بعيدًا، فإذا بي أحبك أكثر..

فإذا بي أدرك اختلافك..

فإذا بي أسبح في تيارات قلبك، وأذهب في غفوة عينك، ودقة قلبك، حتى تُفزعني التفاصيل بَغتة أنك رحلت..

وأنه لا يسعني نطق حروف الـ م و ت.

يا حبيبي، لو تعرف كيف انشقت الروح، وشعرت بالعجز والتعري بعد أول لحظات سقط عني الجسد..

نهوضي بعدها كان ذروة الانهيار، بات جليًّا انحنائي وآهات عاجزة..

شعرت أنني مقيدة بألف قيد، أهرع وأنا ثقيلة جدًا، أجر خوفي كي ألقاك، ليس بمقدوري النطق بحرف واحد..

كأن شخصًا قيَّد ذراعيك وكتفيك، ومن هول الألم فإن الصرخات المحتجزة لا تُشفي نيران قلبك المشتعلة..

لكنك مجبول على النهوض والتقبل في تلك اللحظة تحديدًا.. للقاء الأخير.

أنت لا تعرف ما قد يحدث أكثر قسوة..

لتلم بقاياك وخرابك بعجزك، وشعور القهر الذي يأكل فيك..

لأن لا رحمة لفاجعة الموت، سريعًا ما يفكرون في أمور رخيصة، ولا تعنيهم أمورك؛

هكذا حين يموت الضمير.

لو تعرف أن..

إن في كُل تجمع طيب يئن قلبي وتجزع نفسي، حفرة غائرة من الألم، بحيرة عميقة من الحزن في روحي تتضارب وتعتصر فتات تحملي، كم هو صعب أني دونك، وكم هو عصي على الفهم أو الشعور أني دونك.

في كل عناق أب لابنه شيء بداخلي يبكي، لا أستطيع إيقافه..

في التفاصيل الصغيرة يجن قلبي، وتعجز شفاهي عن الكلمة؛ لأن كل شيء يحدث أنت لبه، أنت وجيعتي وحُزني الدفين.

لو تعرف أن ذاكرتي تعيد اللحظات الأخيرة، وتشق في قلبي شروخًا من الألم والعجز، يؤسفني صغر عمري وجهلي أمام رحيلك، تُعجزني لحظات التعري بعد اليقين والسقوط.

شعرت وكأنهم أخذوا غطائي وقوتي الوحيدة لأكون مجبولًا على القبول..

عيناك.. أنا اشتقت لكل شيء فيهم..

نظرتك وألمك يخترقان روحي كالسهم..

يداك لم أرَ في بديع جمالهما..

دافئ لين بما يكفي لأن تذيب الثلج وتهدِّئ العاصفة..
خالص شفَّاف للحد الذي يجذب القلب ناحيتك..
للحد الذي رأيته في عيون كثيرين.

حين اقترن اسمك..

سلمت أمري كله لله..

حين تحسست وجهك باردًا..

ورأيتك بكفن الموتى..

وكنت في الليل كله دافئًا ككل اليالي..

النور الأبيض الذي رأيته بوجهك..

كان حقًا، ليس بحلم..

الآن أصدِّق كل ما سمعته من حكايات عن الموت..

لأنني ما تجرَّأت على إزالة وشاح وجهك، لا أعرف لِمَ!

رغم جنوني وهلعي الشديد لرؤيتك أو لأخذك بعد صقع أنفاسي برحيلك..

هرولت بكلمات العوز لك ومناداتك، العالم كله صار لا شيء.. لا قيمة.. لا معنى..

وأنا صرت خواء، كل ما يعنيه أن تشعر بالتعري، لم تكن جزءًا مني.. بل كل ما كان يُحيِيني..

حين اقترن اسمك بالموت، سقط عني الجسد..

وحين أفقت كنت في أوج هوني، وجنوني، وعجزي.. خيط رفيع بين البقاء بعقلٍ أو ينفض عني تمامًا..

كل التقطعٍ الذي أكلني كان لمجرد الشعور بالخطر..

وما كنت أفكر لحظة برحيلك عني..

ما زلت طفلة..

أكانت كل الأفكار إشارات؟

حسبتني أعاني الوساوس!

أكان تحسسي لنبضك وصوتك..

شعورًا لم أدركه بالرحيل..

لو تعرف، ترهقني الكتابة لك.

نسيم الروح

صرت بعيدًا بُعد السموات العُلَى، تهفو نسماتك تربك عقلي، أرى خطواتك مُقبِلًا، جالسًا في كل مرة أحرِّك مفاتيح الباب، يدك على قلبك، أسمع صوتك سُعالك، عينيك مفتوحتين في وجل يوخز روحي..

أعرف خوفك الشديد من المَشفى، أذكر تحملك في أوْج الألم..

اللقاء الأخير دكَّ رصاصة عجز في قلبي، لم يسعني الحديث معك، يا حبيبي، لو تعرف كل لحظة في الحاضر أشعر بالتفكك، أسقط في الماضي، بت أتصرف على شاكلة فتاة في الثالثة عشر، أو امرأة لم يصفعها الألم وينتشر في كل بقعة على أرضها، أنا بتُّ أعود كما المرة الأولى بعد عودتك من سفرك، تلك العودة التي أحاطتني بشعورٍ انتظرته سنين الطفولة..

هل كنت تستمع إليَّ؟ أو كنت تراني؟

وتلك الأجهزة متصلة بك؟

آهاتك كانت تُغرَز في قلبي، فتات صبري بات يخلص..

متُ كجثة هامدة حين سمعت اسمك يوصَف بالموت في صيغة الماضي القطعي.

ويشاء القدر..

توقفت الحياة في تلك اللحظة..

بكل الأسى أدركت نظرة الطبيب الغريبة لي، ترقُّب المحيطين لخطواتي، الذي كان يُشعِرني بالتعري ومحاولة لإخفاء فكاك قلبي..

رأيت في عينيه الخوف من الموت..

رأيت عينيه مفتوحتين، يسأل في وجل:

« في إيه يا دكتورة؟».. أجابته:

« مفيش حاجة يا حاج الضغط عِلي فجأة».

كان لتوه قد تخلص من الزي الأزرق للعناية، وارتدى ملابسه المعتادة..

كان لتوه يستنشق أنفاسه، وتعود الطمأنية للروح..

أذكر صوت آهاته وملامح وجهه كيف تنقلب..

ما كان يسعني غير إحاطته ومحاولة جعله صابرًا..

لو كان بيدي أن أقتسم معه الوجع، لأقتسمته.

ما زلت أذكر مناداته لي ويده مفتوحة، يُسلِّم بيَدٍ مفتوحة كأنه يداعب طفلًا صغيرًا.

أذكر كيف بدأ الأمر بقناع تنفس بسيط، خرطومه رفيع، معلَّق أعلى سريره، ثم واحد ذي خرطوم أوسع، فأوسع، فأوسع، فواحد آخر خصيصًا فُتح من كيسه الخاص، ثم آخر مرتبط بجهاز تظهر عليه أرقام ونبض قلبه.

أذكر رغبته في بقائي..

ولا يسعني نسيان ملمس وجهه البارد، وكيف كان أبيض!

ما أجدني غير عاجزًا أمام قضاء الله..

مُمْسكًا بنيراني وآهاتي، وزجِّها بآيات ياسين..

إننا في تلك اللحظات نموت ألف مرة..

نحاول كبح زمام جنونا وصراخنا، وإذا ما لامس أحد ألمنا ضاغطًا، فلا ذنب لي إنْ ثُرْتَ بكلمات ونبرة حادة عليه..

العالم في تلك اللحظة يصير وحشة لنا، يصير كل شيء آتٍ غير مطمئن..

هرع الرجال على السُّلم، صوت يقع على أذني كالرعد..

يفصل وعيي كله عن جسدي وعقلي.

وتبقى الذكريات نبضا حيا

شعور أعرفه للمرة الأولى، لكن يوجد فيه شيء من الرضا والاعتزاز، حين يباغتك أكثر من شخص يرتِّب لكما القدر لقاءً عند مدفن أبيك، رغم أنه لا تربطك به صلةُ رحم أو علاقة وطيدة، لكن الأقوى من كل ذلك هو إحسان أبيك، والخير الذي تركه حيًّا شاهدًا عليه، إلى الحد الذي ترى عليه علامات الأسى والحزن كأنه من دمه، حزين من قلبه لفقدان عزيز روحك؛ لتحبه أكثر حين تدرك جانبًا جميلًا كان يخفيه، كان ينال ثوابه كاملًا من الله، تقابل قلوبًا لا تعرفها تضج حبًّا، وأحاديث تشع جمالًا، أنت تعرفها جيدًا، تشربتها حتى النخاع.

أذكر اللحظة الأولى، حين وقعت عيني على أفواج مزدحمة من الناس من شرفة البيت، أذكر التيه الشديد الذي عشته، أشتاق بمُر الفقد لعناق طويل..

فكم كان حنونًا طيبًا مغرقًا بالمشاعر الدافئة، لحد بعيد مختلف..

عرفته متواضعًا رغم أن قدره عالي..

أذكر حكايات سفره وشبابه التي وقعت على مسمعي..

حينها خلق بداخلي شغفًا قويًّا للسفر..

كان أبي يتشعَّب بداخلي دون أن أدري..

عرفته يعزِّز من قيمة كل نفسٍ يقابلها، يظهِر جمالها، ويغرِقها بطيب الكلام، وذلك ورثته عنه دون أي اكتساب أو تعمُّد..

تبْقى الذكريات نبضًا حيًّا بداخلنا إلى آخر نفسٍ لنا على هذه الحياة.

في التفاصيل الصغيرة يجن قلبي وتعجز شفاهي عن الكلمة؛ لأن كل شيء يحدث أنت لُبُّه، أنت وجيعتي وحُزني الدفين..

لو تعرف أن ذاكرتي تعيد اللحظات الأخيرة، وتشق في قلبي شروخًا من الألم والعجز، يؤسفني صِغر عمري وجهلي أمام رحيلك، تُعجزني لحظات التعري بعد اليقين والسقوط..

شعرت وكأنهم أخذوا غطائي وقوَّتي الوحيدة لأكون مجبولًا على القَبول..

عيناك أنا اشتقت لكل شيء فيهم..

نظرتك وألمك يخترقان روحي كالسهم..

يداك لم أرَ في بديع جمالهما..

دافئ لين بما يكفي لأن تذيب الثلج وتهدئ العاصفة..

خالص شفَّاف للحد الذي يجذب القلب ناحيتك..

للحد الذي رأيته في عيون كثيرين.. فإذا بي أدرك اختلافك..

فإذا بي أسبح في تيارات قلبك، وأذهب في غفوة عينك، ودقة قلبك حتي تُفزعني التفاصيل بَغتة أنك رحلت.. وأنه لا يسعني نطق حروف الـ م و ت.

يا حبيبي، لو تعرف كيف انشقَّت الروح، وشعرت بالعجز والتعرِّي بعد أول لحظات سقط عني الجسد!

نهوضي بعدها كان ذروة الانهيار، بات جليًّا انحنائي وآهات عاجزة..

شعرت أنني مقيدة بألف قيدٍ، أهرع وأنا ثقيلة جدًا، أجرُّ خوفي كي ألقاك، ليس بمقدوري النطق بحرف واحد..

كأن شخصًا قيَّد ذراعيك وكتفيك، ومن هول الألم فإن الصرخات المُحتجَزَة لا تُشفي نيران قلبك المشتعلة..

لكنك مجبولٌ على النهوض والتقبل في تلك اللحظة تحديدًا.. للقاء الأخير..

أنت لا تعرف ما قد يحدث أكثر قسوة..

لتلمّ بقاياك وخرابك بعجزك وشعور القهرِ الذي يأكل فيك..

لأن لا رحمة لفاجعة الموت، سريعًا ما يفكرون في أمور رخيصة، ولا تعنيهم أمورك..

هكذا حين يموت الضمير.

الكاتبة في سطور

- علا الجندي كاتبة وشاعرة مصرية من مواليد محافظة المنوفية.
- حصلت على ليسانس الآداب قسم الإعلام شعبة الإذاعة والتلفزيون من جامعة بنها.
- عملت محررة لعدة مواقع صحفية وأجرت العديد من الحوارت واللقاءات الصحفية.
- معلقة صوتية لشبكة الإعلاميين العرب وسونديلز.
- لها إصدرات صوتية باليوتيوب وفيس بوك.
- متميزة في التمثيل الصوتي للنصوص الأدبية والشعرية.
- مهتمة بمجال الأدب والموسيقى والفن.
- صدر لها ديوان (اكتبي يا سندريلا) بمعرض القاهرة الدولي للكتاب عام ٢٠٢٠ عن كاريزما للنشر والتوزيع.
- كما ساهمت في عدة أعمال مشتركة..
- حيث اشتركت في ديوان (حيثما كان قلبي) بمعرض القاهرة الدولي للكتاب في يوبيله الذهبي عام ٢٠١٩ والصادر وديوان (العزف على المشاعر) بصيف نفس العام والصادران عن

كاريزما للنشر والتوزيع، وديوان (أقلام نابضة) بمعرض الإسكندرية للكتاب لعام ٢٠١٩ عن دار لوتس للنشر الحر وديوان (روح وزعفران) بمعرض القاهرة للكتاب لعام ٢٠٢٠ عن دار نهر الكتب.

يمكن متابعة مقالات الكاتبة على منصة رقيم عبر الرابط التالي..

يمكن متابعة أعمالها عن طريق موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" عبر الرابط التالي..

يمكن متابعة أعمالها الصوتية عن طريق موقع التواصل الاجتماعي "فيس بوك" عبر الرابط التالي..

عن طريق ساوند كلاود عبر الرابط التالي..

المحتويات

إهداء	٥
متسع روحك	٧
روحي وأنفاسي	٩
صباحٌ أخير..	١٠
لتطمئن نفسك..	١٢
وتين الروح..	١٤
على حافة الموت..	١٦
نبرات الحنين	١٧
أنين الروح..	١٩
في ساعات الرحيل..	٢٢
شيفرة عالقة	٢٣
ونلتقي حبيبي..	٢٤
حيث هو أكون..	٢٦
هوَّة ألم	٢٧
آهات صارخة..	٢٩

في العوالم الخفيّة	٣٠
نوستالجيا..	٣٢
شظايا وفتات..	٣٤
صدى الذاكرة	٣٥
بعد المنطق..	٣٦
في وِصالك أكتب..	٣٨
وانطفأت..	٤٠
قيل ادخل الجنة..	٤١
في منتصف الليل..	٤٤
ربما لأنه كان الأخير..	٤٦
وإني اشتقتُ لوصلك..	٤٨
عزيزي بابا	٤٩
يا بيت قلبي	٥٢
وأنَّ رسائلك تصل لقلبي..	٥٥
على أعتاب الذاكرة	٥٧
ولكني اشتقت..	٦٠
تُرى بأيِّ لحظة؟	٦٢
وإني أشهدك نورًا	٦٤
اللقاء الأخير..	٦٥
تحنُّ الروح..	٦٧

حَبل الوصل..	٦٩
الساعات الأخيرة	٧١
حين تَصعد الروح..	٧٤
أنَّات الروح..	٧٥
وتَبقى في روحي..	٧٧
في لقاء روحك	٧٨
حين تَسقط غريبًا	٧٩
يا كُلّ روحي	٨٠
في عوالم الروح	٨٣
إلى عينيك..	٨٥
ذروة الرحيل..	٨٨
همسات الروح	٩٠
حين تصفعك كلمة الموت	٩٢
لو تَعرف أنَّ..	٩٤
حين اقترن اسمك..	٩٦
نسيم الروح	٩٨
ويشاء القدر..	٩٩
وتَبقى الذكريات نبضًا حيًّا	١٠١
الكاتبة في سطور	١٠٥

كاريزما
للنشر والتوزيع